﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٧ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩﴾ [الطّور: 47 - 49]

❁ مناسبةُ الآيات لِما قَبْلَها:

من كيدٍ لا يُغني ونصيرٍ لا ينفع إلى عـــذابٍ لا يُؤجَّل

بعد أن فصَّل النّظمُ الجليل في بيان عِنادهم في النّبوّة، وفَضَح شِركَهم في الأُلوهيّة، وعَرَّى مكابرتَهم حتّى للمَحْسوسات - انتقل السّياق في هذه الآية إلى تهديد جديد يُمهِّد للختام، فيُخبر أنّهم لن يُمهَلوا إلى يوم الصّعق فحسب، بل سيُصيبهم عذابٌ في الدّنيا قبلَ ذلك اليوم؛ فجاءت الآيةُ: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ مناسبةً لِما قبلَها، لتُكمِلَ مشهدَ الوعيدِ المُتَدَرِّج[1].

ومنها: لمّا ذكر الله تعالى عذابَ الظّالمين في القيامة، أخبر أنّ لهم عذابًا دونَ عذابِ يومِ القيامة بقوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾.

ومنها: لمّا ذكر فيما سبق الحُجَجَ والبراهين على بُطلان مزاعم المشركين؛ أمر رسولَه ﷺ ألّا يعبأ بهم شيئًا، وأن يَصْبِر لحُكْم ربّه لينالَ عنايةَ الله له.

❁ شرحُ المفردات:

1) ﴿وَإِدۡبَٰرَ﴾: (دبر) أصل يدلُّ على آخرِ الشّيء وخلفِه خلافِ قُبُله[2]. والإدْبارُ: نقيض الإقبال[3]. دُبُر كلِّ شيءٍ خلاف قُبُله، وأدْبارَ السُّجودِ: أي أواخِر الصَّلَواتِ. وإدْبارَ النُّجومِ: عند الصُّبحِ في آخر اللّيل إذا أدبَرَت مولّيةً نحو المغرب[4].

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 27/ 37.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دبر).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (دبر).
(4) الخليل، العين: (دبر).

❁ المَعْنَى الإجْماليُّ:

عـــــــذابٌ للمشركين في الدّنيا قبلَ عذاب الآخرة، ودعـوةٌ للصّبر والتّسبيح لربّ العِباد

يهدّد النّظمُ الجليل المشركين بعذاب قريب يصيبهم في الدّنيا قبلَ عذاب الآخرة، من القتل والسّبي وعذابِ البرزخِ وغيرِ ذلك، ولكنّ أكثرَهم غافلون عن ذلك. ثمّ وُجِّهَ الخطابُ إلى النّبيّ ﷺ بالصّبر على ما يلقاه من أذًى، والتّمسّك بحُكم الله ووعدِه، وأنّه ناصرُكَ عليهم، ويحفظك برعايته من كيدهم، وسبِّح بحمد ربّك حين تقومُ من نومك في الصّباح إلى الصّلاة، وحين تقوم من مجلسك، وحين تُدْبِرُ النّجومُ ويُشْرِق الصّباحُ؛ لِتُنزِّهَ خالقَ السّماوات والأرض، السُّبّوحَ القدّوسَ، ربَّ الملائكةِ والرّوح[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبلاغيُّ:

دلالة الواو في قوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾:

اعـتراضٌ يكشف الـعـاجـلَ من الوعيد

افتتح النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ بالواو، وهي اعتراضيّة، دخلت على جملة معترضةٍ بين سياق التّهديد الأُخرويّ في الآيات السّابقة، والوصايا الرّبّانيةِ التي سَتَلي؛ وذلك للتّنبيه على أنّ العذاب لا يقتصر على يوم الصّعْقِ، بل لهم عذابٌ سابق في الدّنيا كذلك[2].

نُكْتَةُ تأكيدِ الجملة:

الـرّدّ على إنكارِ الظّالمينَ للعذاب

عبّر النّظمُ الجليل بتأكيد الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ وذلك للدّلالة على وقوع العذاب بصورة لا تقبل الشّكّ، لا سيما في سياق إنكار المشركين، فالتّأكيد للرّدّ على شكّهم وإنكارِهم وقوعَ العذاب[3]. وهو يدلّ على حتميّةِ العذاب، وكونه واقعًا لا محالة.

---

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 27/ 37، وجماعة من العلماء، التّفسير الميسر: 1/ 525.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 82.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 82.

دلالة اللّام في ﴿لِلَّذِينَ﴾:

عـذاب الكفّار مستحَقٌّ لهم، ومختصٌّ بهم

عبّر النّظم الجليل بحرف الجرّ (اللّام) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا﴾؛ للدّلالة على أنّه عذاب مستحقّ لهم، مختصّ بهم.

دلالة التّعبير بالإظهار في موضع الإضمار:

تسجيل التّهمة، وتعليلُ الوعيدِ

وضع النّظمُ الجليل الاسمَ الموصولَ الظّاهرَ موضعَ الضّميرِ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، فلم يقل: (وإنّ لهم)؛ وذلك لتعميم الحُكم، فيشملُ كلّ ظالم؛ وللإشارة إلى عِلّة الحُكم، وهي وقوع الظّلم منهم[1]. فجاء العدولُ إلى الاسم الظّاهر للتّسجيلِ عليهم بصفةِ الظّلم، وهي تعليلٌ ضمنيٌّ لاستحقاقهم العذاب، وإشارةٌ إلى أنّهم لم يُعذَّبوا عبثًا، بل لأنّهم ظلموا أنفسَهم وكذّبوا الحَقّ. وممّا يُذْكَر في سرِّ التّعبير باسم الموصول الظّاهر (الذين) دون الضّمير (لهم) لتعدّد الأقوال في المُراد بالذين ظلموا؛ فذهب البعض: إلى أنّهم أهلُ مكّة، ويفسّر العذابَ بأهل بدر، ويجوز أن يُحْمَل على العموم لكلّ ظالم، والمُراد بالعذاب (عذاب القبر).

سِرّ التّعبيرِ بالظّلم مادّةً وصيغةً:

الشّـركُ ظلـمٌ عظيمٌ

عبّر النّظمُ الجليل بالظّلم في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ لتعدّد المُرادِ به؛ فيجوز إطلاقُه على كيدهم للنّبيّ ﷺ، وعلى عبادتهم للأوثان، وذلك لأنّهم وضعوها في غير موضعها، وهذا ظاهر في ظلمهم للنّبيّ ﷺ وللقرآنِ الذي أُنزِل عليه؛ حيثُ وصَفوا القرآنَ بالسّحر والكَهانة[2]. وجاء التّعبير بالفعل الماضي للدّلالة على وقوع الظّلم وتحقّقه.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 36.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 36.

نُكْتَةُ تقديمِ شِبه الجُملة:

عـذابُـهـم مخصوصٌ بهم، لا ينالُه سواهم

قدّم النّظمُ الجليل الجارَّ والمجرورَ ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ على المبتدأ المُؤَخَّرِ ﴿عَذَابًا﴾؛ للدّلالة على القَصْر والاختصاص، أي: لهم خاصّة هذا العذاب، فهو غير مدفوع عنهم ولا مُشتَرَكٌ فيه مع غيرهم، وفيه تهديد بليغ، وربطٌ بين الفعل (الظّلم)، والجزاء (العذاب).

نُكْتَةُ تنكيرِ العذاب:

صـورُ الـعـذابِ وأشكالُها أوسعُ من حصرها

عبّر النّظمُ الجليل بتنكير العذاب في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ للتّنويع، أي: عذابًا آخر[1]، كما أنّ التّنكير يدلّ على التّفخيم والتّهويل، فالتّنكير هنا يوحي بأنّ هذا العذابَ غيرُ معيّن ولا محدودٍ بوجهٍ أو نوعٍ، بل هو عذاب مُبْهَمٌ في شِدّته وتنوّعه ومظاهره، وهذا يُضفي عليه رهبةً في النّفوس.

دلالة التّعبير بـ ﴿دُونَ﴾:

الـعـذاب الأقـلّ وجـعًـا أعـجـلُ وقوعًا

عبّر النّظمُ الجليل بـ ﴿دُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، وأصلها المكان المنفصل انفصالًا قريبًا، واستعملت للدّلالة على الأقلّ[2]، فعذاب الدّنيا أقلّ رتبةً من عذاب يوم القيامة[3]؛ يُؤكّد هذا قولُه: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السّجدة: 21]، ويكون المُراد بقوله: ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: أقلّ من ذلك في الدّوام والشّدّة.

غرض التّعبير باسم الإشارة البعيد ﴿ذَٰلِكَ﴾:

تـهـويـل المـوعـد وتـعـظـيـمُ العذاب

عبّر النّظمُ الجليل باسم الإشارة الدّالِّ على البُعْد في قوله تعالى: ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ للإشارة إلى عذاب يوم القيامة، وقد جاء باسم الإشارة البعيد تعظيمًا لشأن ذلك اليوم وتهويلًا له، فهو

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 152.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 82.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 36.

ليس أيّ يوم، بل اليوم العظيم، يوم الصّعق والجزاء والخلود، وهو عذاب الآخرة[1].

دلالة الواو في ﴿وَلَٰكِنَّ﴾:

العذاب النّاجم عن كفرهم نتيجةٌ نتيجةً لجهلهم

عبّر النّظمُ الجليل بالواو في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، وهي تُفيد العطف[2]، وذلك لربط الاستدراك بما قبلَه ربطًا وثيقًا، أي: إنّهم - إضافةً إلى العذاب - في جهل مُطبِق بحقيقة ذلك العذاب.

فائدة الاستدراك:

الجهل لا يمنع العذابَ بل يُعجِّلُه

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الاستدراك (لكنّ) في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، بعد الإخبار المُؤكَّد بوجود عذاب دنيويّ دونَ العذابِ في الآخرة؛ للدّلالة على أنّه واقع لا محالة، ولكنّه لا يخطر ببالهم ولا يُقدِّرونه؛ لِما هم فيه من بَطَر وغُرور وغفلة[3]. فالاستدراكُ هنا لا يَنقض الحُكمَ السّابق، بل يُقوّيه ويُؤَكِّدُه.

نُكْتَةُ التّعبير بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ دونَ (ولكنهم لا يعلمون):

من الكافرين قِلّةٌ يعلمون ولكنّهم يُكابرون

عبّر النّظمُ الجليل بالأكثريّة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ دون أن يقول: (ولكنّهم لا يعلمون)؛ وذلك لأنّ فيهم من يعلم ذلك، ولكنّهم يُصِرّون على الكفر عِنادًا[4]. ويجوز أن يكون التّعبير بالأكثريّة جريًا على عادة العرب، حيثُ تُعبّر عن الكلّ بالأكثر؛ كما قال تعالى: ﴿أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ: 41][5].

(1) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 18/ 149.
(2) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 308.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 82.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 153.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 534.

فائدة التّعبير بالفعل المضارع المنفيّ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾:

دوامُ الجهلِ وتأصُّلُ الغَفلةِ

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالفعل المضارع في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ للدّلالة على تجدّد النّفي، أي: أنّ انتفاء علمِهم يتجدّد على الدّوام، فهو تعبيرٌ عن رسوخ جهلهم.

نُكْتَةُ حذفِ المفعول:

لا تُـذرِكُ عقولُ الغافلين شيئًا من الحقّ

حذف النّظمُ الجليل المفعولَ لفعل العِلم في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ لظهوره من السّياق، أي: لا يعلمون ما سيقع بهم، ولا شأنَ العذابِ، وما سينزل بهم[1]. كما أنّ حذف المفعول يُراد منه الاهتمامُ بنفي العِلْم عمومًا، لا بالنّظر إلى تعلّقه بمفعول، فهو تسجيل عليهم بالجهل.

دلالة الواو في ﴿وَٱصْبِرْ﴾:

تَـرْكُ المُكذّبين، والـصّـبرُ على الأذى، تسليَةٌ للمُبَلِّغ الأمين

عَطْفُ النّظم الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ على الجملة في قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ﴾، تُفيد استئنافَ سلسلةِ التّسليَة والتّثبيتِ للنّبيّ ﷺ[2]؛ فإنّ معظم ما في السّورة أخبارٌ تخالِطُ نفسَه ﷺ، من الكَدَر والأسَف على ضلال قومِه وبُعْدِهم عمّا جاءَهم به من الهدى، فجاء الأمرُ بالصّبر تسليَةً له[3].

دلالةُ الأمرِ بالصّبر:

تـثـبـيـتٌ في وجـه المُكابرة، وتـفـويـضٌ للحكيم العليم

عبّر النّظمُ الجليل بفعل الأمر في قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾؛ تسليةً للنّبيّ ﷺ بعد ما تضمّنَته الآياتُ السّابقة من صور تكذيبِ القوم وشِدّة عنادِهم وعاقبةِ أمرهم[4]، فجاء هذا الأمرُ ليَرْبِطَ على قلبه ويُثبِّتَه على ما يلقى من أذى وأعباءِ الدّعوة. والأمرُ

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 20/ 512.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 37.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 83.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 37.

بالصّبر هنا يشمل احتمالَ الأذى، والرّضا بحُكم الله، والثّقةَ بعواقب الأمور وإن طال البلاءُ. وممّا يُذْكَر في سرّ التّعبير بالصّبر: أنّه لما قال الله لرسوله فيما سبق: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ﴾، كان فيه الإشارةُ إلى أنّه لم يَبْقَ في نُصحهم نفعٌ، ولا سيما أنّه قد تقدم قوله: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾، وكان ذلك ممّا يحمل النّبيَّ ﷺ على الدّعاء، كما قال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: 26]، إلّا أنّ الله قال له: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾.

دلالة اللّام في ﴿لِحُكْمِ﴾:

الصّبر فعلٌ مأمور، وغايةٌ مرجوّة، وعِلّةٌ مقصودة

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الجَرّ (اللّام) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، وهي هنا صالحةٌ أن تكون بمعنى (على)، فيكون لتعدية فعل (اصبر)، كقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل: 10]. وأن تكون بمعنى (إلى)، أي: اصبر إلى أن يحكم الله بينَكَ وبينهم. وأن تكون (للتّعليل)، أي: اصبر لأنّك تقوم بما وجب عليك بما حكمنا من إرسالنا إيّاك[1]. وهذه المعاني ليست متعارضةً، بل متكاملةً، وكلّها محتمِلة في الآية الكريمة؛ فالنّبيّ ﷺ مأمورٌ بالصّبر على عدم استجابة بعض النّاس لدعوته، إلى أن يأتيَ حكمُ الله الفاصلُ بينَه وبينَ المُكذّبين، من أجل القيام بما أوجبه الله عليه من تبليغ الرّسالة. وهذا من بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، حيثُ يحتمل اللّفظُ الواحدُ معانيَ متعدّدة متكاملة تُثْري المعنى، وتوَسِّع الدّلالة.

دلالة إضافةِ حُكم إلى لفظ الرّبّ:

الإضافة للتّشريف والتّخصيص، والحُكم صادِرٌ عن الله ﷻ

أضاف النّظمُ الجليل لفظَ (حُكْم) إلى لفظ (ربّك) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، وهي إضافة تشريف وتخصيص، وبيان أنّ هذا الحُكم صادِرٌ عن الله ﷻ، لا عن أحدٍ سواه، وفيه بيانٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 83.

بأنّ هذا الحُكمَ يحمل معنى الحفظِ والرّعاية؛ لأنّه صادرٌ من ربِّكَ الذي يقوم على تربيتك والإنعامِ عليك.

دلالة التّعبير بالحُكم في قوله: ﴿لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾:

جاء التّعبير القرآنيُّ بلفظ الحُكم في قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ دون غيره؛ لأنّ حُكم الله نوعان: خَلْقٌ وأمر؛ **فالأوّل**: ما يُقَدّره من المصائب، **والثّاني**: ما يأمر به وينهى عنه، والعبد مأمور بالصّبر على هذا وعلى هذا؛ فعليه أن يَصْبِر لما أُمِرَ به، ولِما نُهيَ عنه.

العبد مأمور بالصّبر على ما أُمِرَ به، وما نُهيَ عنه

سرّ التّعبير بقوله: ﴿لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ دون: (لحُكْمِنا) أو (لحُكْم الله):

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالرّبوبيّة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾، دون أن يقول: (لحُكْمِنا) أو (لحُكْم الله)؛ وذلك للدّلالة على الإحسان والتّلطّف، فالأمرُ بالصّبر هو ما يُريده الذي سبق منه الإحسان إليك[1].

تثبيت الصّابر برحمة المُحْسِن المُرَبّي

دلالةُ كاف الخطاب في قوله: ﴿رَبِّكَ﴾:

جاء التّعبيرُ القرآنيُّ بإضافة لفظ (رب) إلى كاف الخطاب في قوله: ﴿رَبِّكَ﴾؛ وذلك لتشريفه ﷺ، والإشعارِ بأنّ هذا الصّبرَ في كنف رَبٍّ يُربّيه ويُحْسِن إليه، فهو تطمينٌ للنّبيّ ﷺ، بأنّ ما يُقدِّره الله له من أحكام إنّما هو من ربّه، الذي لا يُريد به إلّا اللّطفَ والإحسانَ.

تشريف النّبيّ ﷺ وتطمينه والإحسان إليه

معنى الفاء في ﴿فَإِنَّكَ﴾:

عبّر النّظم الجليل بالفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ وهي هنا للتّفريع، جيء بها لتفريع العلّة على المعلول، أي: اصبر، لأنك بأعيننا، والمراد: أن سبب قدرتك على الصبر وثباتك عليه هو أنك محفوظ بعين الله، محروس برعايته، واقع في دائرة عنايته التامة[2].

وجـب صـبرك لأنك بعين الله

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 37.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 83، 84.

نُكْتَةُ تتابعِ المؤكِّدات:

حـفـظٌ مـتـين، وعنايةٌ لا تنقطع

أكّد النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، والمُراد منه تأكيدُ الخبرِ لتقويةِ المعنى، والمقصودُ تثبيتُ قلبِ النّبيّ ﷺ غايةَ التّثبيتِ، بعد أن ورد في السّياق كثيرٌ من مشاهد التّكذيبِ والعِناد والوعيد.

دلالة الباء في ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾:

لُصوقُ العنايةِ، وقُرْبٌ لا انفصالَ فيه

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الجَرّ (الباء) في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، وهي هنا للإلصاق المجازيِّ، أي: لا نغفُل عنك، فهي تدلّ على الملازمة، أي: أنّ النّبيّ ﷺ في حفظ الله ورعايته الدّائمة، بحيثُ لا تغفل عنه عينُه سبحانَه طرفةَ عين[1]. وهذا يبعثُ الطّمأنينةَ في قلب النّبيّ ﷺ، ويُشجّعُه على الصّبر والمُضيِّ في دعوته، ويكون تقدير الكلام على هذا: محفوظٌ بأعيننا. وإن كان المُرادُ العِلم؛ فمعناه: بمَرأىً مِنّا، أي: بمكانٍ نَراك، وتقديره: فإنك بأعيننا مَرْئيٌّ[2].

نُكْتَةُ جمعِ الأعين وإضافتِها:

مَن كان في معيّة الله أمِـنَ كيدَ الماكرين

جمع النّظمُ الجليل الأعين في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾؛ لأنّه أراد المبالغةَ في الحفظ وكثرةِ أسبابه[3]، "حتّى كأنّ معه جماعةً حَفَظةً له بأعينهم، لأنّ المقصود تصبيرُ حبيبه على المَكايد ومشاقِّ التّكاليف والطّاعة. فناسبَ الجمعُ، لأنّها أفعالٌ كثيرة، يحتاج كلٌّ منها إلى حارس، بل حُرّاس"[4]. وإضافةُ العين إلى ضمير التّعظيم تعظيمٌ لشأن حفظِه تعالى لنَبيّه ﷺ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 84.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 525.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 156.
(4) القاسميّ، محاسن التّأويل: 9/ 55.

سرّ التّعبير بالجمع ﴿بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾:

لمّا كثرت المكائدُ عَظُم الحفظُ والعناية الرّبانيّة

جاء التّعبيرُ القرآنيّ بالجمع ﴿بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ في حقّه ﷺ، وفي حقّ موسى عليه السلام ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه: 39] على الإفراد، ووجهُ ذلك: أنّه لمّا وحّد الضّميرَ هناك، وهو ياء المُتكلّم، وحّد العين، ولمّا ذَكَر هنا ضميرَ الجمعِ في قوله: ﴿بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ وهو النّون، جمعَ العين، وقال: ﴿بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾، هذا من حيثُ اللّفظ، وأمّا من حيثُ المعنى: فلأنّ الحفظَ ها هنا أتمّ؛ لأنّ الصّبر مَطيّةُ الرّحمةِ بالنّبيّ ﷺ، حيثُ اجتمع له النّاس وجمعوا له مكايدَ وتشاوروا في أمره؛ فكلّ ذلك يحتاج إلى حفظ عظيم في نظر الخَلْق؛ فقال: ﴿بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾؛ بخلاف قوله في قصة موسى: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه: 39]؛ لأن موسى كان يحتاج إلى رعاية خاصّة في طفولته[1].

دلالة الواو في ﴿وَسَبِّحۡ﴾:

التّسبيح سِلاح الصّابر

عبّر النّظمُ الجليل بواو العطف في قوله جلّ شأنه: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾؛ لعطف الأمر بالتّسبيح على ما قبله من الأمر بالصّبر في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾؛ وذلك لأنّ العبادة بالتّسبيح والصّلاة أعظمُ ناصرٍ، وأكبرُ مُعِزٍّ[2]، فالتّسبيح هو مَعين الصّبر، ووسيلةُ الثّبات، وسِرّ القوّة في وجه الأذى والعناد، فجمعت الواو بين الثّبات والعبادة.

دلالةُ الأمر في ﴿وَسَبِّحۡ﴾:

التّسبيحُ مَلاذ المؤمنِ وسلاحُه في مواجهة الضّيق

عبّر النّظمُ الجليل بصيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، هذا الأمر بالتّسبيح، وهو التّنزيه لله تعالى عمّا لا يليق به[3]، فالتّسبيحُ هو مَلاذ المؤمنِ وسلاحُه في مواجهة الضّيق

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 525.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 38.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 153.

والبلاء والكرب. وقد يُراد به الصّلاة، إذ كَثُر إطلاقُ التّسبيح على الصّلاة[1]؛ وذلك لأنّ التّسبيح جزءٌ من الصّلاة، وهذا ظاهرٌ في إطلاقات القرآن الكريم.

دلالة الباء في ﴿بِحَمْدِ﴾:

وجوبُ مصاحبةِ التّنزيهِ لكمالِ الثّناءِ

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الجرّ (الباء) في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؛ لأنّها تُفيد المصاحبةَ والملابسة، وفي هذا إشارةٌ إلى أنّ التّسبيح يجب أن يكون مصحوبًا بالحمد[2].

دلالة إضافة الحمد للرّبّ:

وجوبُ الثّناءِ لعظيم الإحسانِ

عبّر النّظمُ الجليل بإضافة الحمد إلى الرّبّ في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؛ وذلك للتّشريف والتّخصيص، فالحمد المطلوب هو حمد خاصٌّ بالله ﷻ وحدَه، فهو المُستَحِقّ لكلّ الثّناء.

دلالةُ التّعبير بلفظ الرّبوبيّة مُضافًا إلى ضميره:

تثبيت الفؤاد بتذكيرِ سابقِ الإحسان

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ (الرّبوبيّة) مُضافًا إلى ضمير المُخاطَب ﴿رَبِّكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؛ تذكيرًا بسابق إحسانه، أي: الرّبّ المُحسن والمُتفضّل عليك بالنّبوّة[3]، وهذا يبعث على الطّمأنينة والسّكينة في قلب النّبيّ ﷺ. فهو ربُّه ومُربّيه الذي يتولّى رعايتَه وعنايتَه الخاصّة.

دلالة التّعبير بالظّرفيّة ﴿حِينَ﴾:

بدايةُ اليومِ بحمدِ اللهِ وتسبيحِه

عبّر النّظمُ الجليل بالظّرف ﴿حِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، أي: حين تقوم من النّوم وتَشْرَع ببداية يومِك، ومُزاولَةِ أعمالِ الدّعوة[4]، ووقتُ القيام هو بداية اليوم. هذا التّخصيصُ يُفصِح عن أهمّيّة بدءِ اليوم بذِكْر الله والتّسبيح

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 84.
(2) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 121.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 38.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 85.

والحمد، كَزادٍ روحيٍّ لجميع أعمال اليوم. وفيه إشارةٌ إلى إيقاع التّسبيح في كلّ أحوالِكَ عندما تقوم لأمر ما، ولا سيما مجاهدةِ قومِكَ الذين يُعادونَكَ.

دلالة التّعبير بالفعل المضارع ﴿تَقُومُ﴾:

تجدُّدُ العبادةِ كلَّ استيقاظٍ وقيامٍ للعمل

عبّر النّظمُ الجليل بالفعل المضارع ﴿تَقُومُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، وذلك يُشير إلى أنّ التسبيح والحمد يقعان وقتَ القيامِ من النّوم[1]. والتّعبيرُ بصيغة المضارع للدّلالة على التّجدّد والاستمراريّة، أي: أنّ التّسبيح والحمد مطلوبان في كلّ مَرّةٍ يقوم فيها النّبيُّ ﷺ، سواء كان قيامًا من النّوم، أو قيامًا إلى الصّلاة، وغيرها[2].

دلالةُ حذفِ متعلّق ﴿تَقُومُ﴾:

تعدّدُ المُرادِ من الفعل

حُذِفَ متعلّق ﴿تَقُومُ﴾ في قوله: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾؛ وذلك لتَعدّد المُراد؛ فيجوز أن يكون المُراد: تقوم من موضعك، ودلّ على ذلك قولُه ﷺ: «سبحانكَ اللّهمّ وبحمدِك، أشهد أن لا إلهَ إلّا أنتَ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك»[3] قبلَ أن يقوم من مجلسه، يُكْتَب ذلك كفارةً لما يكون قد صدر منه من اللّفظ واللّغو في المجلس. ويجوز أن يكون التّقدير: حين تقوم من النّوم، أو حين تقومُ إلى الصّلاة، أو حين تقوم لأمر ما، وكلّ ذلك دلّت عليه الأحاديث[4].

دلالة الواو في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾:

وجوب الذّكر والعبادة شاملٌ لجميع الأوقات

عبّر النّظمُ الجليل بالواو في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾، وهي هنا للعطف[5]، وتفيد الجمعَ بين أوقات

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 156.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 38.
(3) الترمذي، السنن، الحديث رقم: (3732).
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 525.
(5) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 14/ 36.

التّسبيح؛ فبعد أن أمر الله تعالى بالتّسبيح حين القيام أوّلَ النّهارِ، أتبعَ ذلك بالأمر بالتّسبيح في بعض أوقات اللّيل[1]، وهذا يُشير إلى شمولِ أوقاتِ التّسبيح والذّكرِ ليلًا ونهارًا.

دلالة التّعبير بـ (مِن):

العبادة في بعض اللّيل لا كلّه

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الجرّ (مِن) في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾، وهي هنا للتّبعيض، أي: بعضِ اللّيل، لا كلِّه، وهو ما يدلّ على انتقاء وقتٍ مخصوصٍ من اللّيل، وهو أصفاه وأهْدَؤُه، أي: الوقت الذي ينصرف فيه النّاسُ عن شواغلهم، وتصفو فيه النّفوس للمُناجاة والذّكر[2].

نُكْتَةُ تقديمِ شبهِ الجملةِ ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾:

تعظيمُ وقتِ اللّيل، وإبرازُ شرفِه كمَقامٍ للعبادة والخَلْوةِ

قدّم النّظمُ الجليل شِبهَ الجملة على الفعل في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾؛ وذلك لتعظيم شأنِ اللّيل، إذ هو موضِعُ السّكون والهُدوء، ومحلُّ الخَلْوَة مع الله، وهو الوقتُ الذي يَقِلّ فيه الانشغالُ، وتصفو فيه الأرواحُ للذّكر والتّسبيح[3]. فالتّقديمُ يُفيد الاهتمامَ بالظّرف الزّمنيّ، والتّنبيهَ على خصوصيّتِه.

سرّ تخصيصِ اللّيل بالذّكر:

اللّيلُ أُنس العابدين

أُفْرِدَ اللّيلُ بالذّكر دونَ النّهار لتعظيمه؛ لأنّ العبادة فيه أشقّ على النّفس، وأبعدُ عن الرّياء، ولأنّ القراءة فيه أثبتُ لحضورِ القَلْب.

دلالة الفاء في ﴿فَسَبِّحۡهُ﴾:

التّسبيح بعد الصّبر خيرُ مُعين

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الفاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾، وهي هنا للعطف، عطفت جملةَ التّسبيح على الصّبر

(1) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 123.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 85.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 38، 39.

في قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾[1]، وهي تفيدُ التّرتيب والتّعقيب، فالصّبرُ يقتضي إتباعَه بالعبادة والتّسبيح، وهما خيرُ زاد.

دلالة الأمر بالتّسبيح في قوله: ﴿فَسَبِّحۡهُ﴾:

المداومة على تسبيح الله في أوقات الصّفاء في اللّيل

عبّر النّظم الجليل بفعل الأمر في قوله جلّ شأنه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾، وهو يدلّ على الطّلب الجازم بالعبادة والذّكر[2]، وأُريدَ به هنا المداومةُ على تسبيح الله في أوقاتٍ مخصوصةٍ من اللّيل.

دلالة التّعبير بالواو في ﴿وَإِدۡبَٰرَ﴾:

دوام التّسبيح من أوّل اللّيل إلى آخره

عبّر النّظمُ الجليل بالواو العاطفة في قوله تعالى: ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾، عطفت الجملةَ على قوله تعالى: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾[3]، لتدلّ على أنّ وقت التّسبيح المطلوب يشمل أوّلَه وآخرَه، أي: من حين قيام اللّيل إلى وقت إدبار النّجوم، أي: طلوع الفجر. أي: "واذكر ربّك حين تقوم من منامك، ومن مجلسك، وحين تغيبُ النّجوم، ويصبح الصّباحُ"[4].

دلالة التّعبير بالإدبار:

غياب النّجوم بضَوء الصّباح

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالإدبار في قوله تعالى: ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾؛ لدلالتها على غياب النّجوم بضَوء الصّباح؛ لأنّ مادة (أدبر) تدلّ على الغروب؛ أي: ذهاب ضوئها، وهذا لا يتأتى إلّا من خلال إقبال ضوء الصّباح، وعكسُ الإدبارِ الإقبالُ، ولأنّه يعني آخِرَ اللّيل، ويكون المُراد بالتّسبيح في هذا الوقت؛ هو صلاة التّهجّد أو صلاةُ الفجر[5].

دلالة الإضافة في ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾:

تصوير المشهد الأخير من اللّيل عند غياب النّجوم

أضاف النّظم الجليل الإدبارَ إلى النّجوم في قوله جلّ شأنه:

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 14/ 36.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 96.
(3) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 14/ 36.
(4) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 27/ 37.
(5) محمّد الهلال، التّفسير النّريّ: 11/ 179.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾؛ وذلك لتصوير المشهد الأخير من اللّيل عند غياب النّجوم وانسحابها من السّماء؛ إيذانًا بطلوع الفجر[1]. والإضافة تُحَدّد الزّمان، أي: وسبّحه في وقت إدبار النّجوم، وذلك من آخر اللّيل في نصفه الثّاني[2].

دلالة (أل) في ﴿ٱلنُّجُومِ﴾:

كلّ النّجوم التي في السّماء

عرّف النّظم الجليل النّجوم بالألف واللّام في قوله جلّ شأنه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾، والمُرادُ به تعريف الجنس، أي: كلّ النّجوم التي في السّماء.

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 20/ 514.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 39.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"